نماذج من الإطناب والتصوير الفني

في التّيسير اللّغويّ في الخطاب القرآنيّ الكريم

د. محمد حميدي حمدان الشعرات

د. محمد عبدالله صـــالح أبوالرب

الملخّص

تتجلى أهمية هذه الدراسة في مجيئها خدمة لكتاب الله تعالى، وبحثا في علومه الشّريفة التي اختصصنا منها ما كان له مساس بالجانب اللّغويّ. فقد بدا لنا في لغة القرآن الكريم مظاهر متعدّدة من مظاهر التّيسير اللّغويّ الّذي أراده الله تعالى في كتابه العزيز ليسهل على النّاس تعلّم أحكام هذا الدّين في أيسر لفظ، وأوضح معنى. وتناولنا فيها مظهرين من مظاهر التّيسير اللّغويّ في الخطاب القرآنيّ الكريم في إطار المعاني، وهما: الإطناب في المعاني، والتصوير القرآني.

وقد تبنينا المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة؛ إذ تتبعنا جوانب سهولة لغة القرآن الكريم واختلافها عن لغة الشّعر الجاهليّ ونثره من خلال دراسة الآيات القرآنيّة، وبيان أقوال اللّغويين والمفسرين في ذلك، وتحليل بعض النّصوص القرآنيّة الكريمة وبيان أثر التّيسير اللّغويّ في بلاغة القرآن الكريم.

مفتاح الكلمات: التيسير اللغوي، والخطاب القرآني، والإطناب، والتصوير.

The Linguistic Facilitation in Quranic Discourse

In The Semantics Domain

Mohammad .H. Sha'rat mohammad Abdallah aburub

Abstract

The importance of this study is that it comes to serve the Holy Quran, the Book of Allah, as it delves in the linguistic aspect of Quranic studies. The researchers conclude that the manifestations of linguistic facilitation are many in the holy book.

We attribute this to Allah's intention to make the provisions of Islam easy and clear for its followers. We have addressed two of these linguistic facilitations in the semantics domain, namely: circumlocution and figures of speech in Quran.

The researchers adopt a descriptive analytical approach based on examining Quranic verses to find examples on linguistic facilitation, and compare the language of Quran

with pre-Islamic poetry and prose. The researchers also mention the opinions of linguists and interpretation scholars in this field, as well as analyzing some Quranic verses.

Key words: linguistic facilitation, Quranic discourse, circumlocution and figures of speech.

مقدمة :

كنا قد بينا في دراسات سابقة [١] أنه قد استوقفتنا آيةٌ في كتاب الله تعالى في سورة القمر، وهي قوله تعالى: ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ القمر: ١٧. وقد تكرّرت هذه الآية في هذه السّورة أربع مرّات. فأخذنا ننظر في معنى التّيسير، وكيف يكون هذا التّيسير؟ ولمّا رجعنا إلى تفسير القرآن العظيم لابن كثير(ت ٧٧٤هـ) ظهر من معاني هذا التّيسير ما بيّنه بقوله: " يسّرنا لفظه ، وسهّلنا معناه " [٢]، وطفقنا نبحث عن مظاهر هذا التّيسير في كتب اللّغة فلم نجد مؤلّفا خاصّا، وفي كتب الشّريعة فلم نجد أثرا قاصّا، لذا دفعنا الواجب للبحث عن مظاهر هذا التّيسير في كتاب الله تعالى.

---

١ . وهي مقدمة للنشر في مجلات علمية، وانظر: الشعرات ، محمد(٢٠١٤م).التيسير اللغوي في الخطاب القرآنيّ الكريم، رسالة ماجستير بإشراف محمد عبدالله صالح أبوالرب، جامعة الشرق الأوسط ، ١-٢.

٢. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر(ب.ت). تفسير القرآن العظيم، الإسكندريّة: دار البصيرة ، ج ٤: ٣٩١.

ولمّا كان التّيسير سمة اختُصّت به الشّريعة تكريما وتشريفا، ومنهجا ارتضاه ربّ العزّة لخاتمة الأمم تسهيلا وتخفيفا، جاءت لغة القرآن مؤكّدة لهذا النّهج في يسرها ووضوحها. وقد كان هذا شأن نبيّ الأمّة عليه الصّلاة والسّلام في غالب أقواله؛ فهو القائل: " ... وإنّ أبغضكم إليّ، وأبعدكم منّي مجلسا يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدّقون، والمتفيهقون"[١].

وقد فسّر الإمام النّوويّ (ت ٦٧٦ هـ) معنى هذا الحديث بقوله: " المتشدّق: المتطاول على النّاس بكلامه، ويتكلّم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه. والمتفيهق: أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو الّذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسّع فيه، ويُغرِب به تكبّرا، وارتفاعا، وإظهارا للفضيلة على غيره " [٢]. وهذه دعوة صريحة من رسول الله عليه الصّلاة والسّلام إلى تيسير لغة الخطاب الّتي كان تغريبها وتوحّشها مأثرا يعمد إليه

١. التّرمذيّ، أبو عيسى محمّد بن عيسى(١٩٩٦). سنن التّرمذيّ (الجامع الكبير)، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ج٣ : ٥٤٥.
٢. النّوويّ، أبو زكريّا يحيى بن شرف(١٩٩١). رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين، تحقيق: عبدالعزيز رباح و أحمد الدّقّاق، الرّياض: مكتبة دار السّلام، ص ٢٣٣.

فحول الشّعراء والخطباء تفاصحا وتعاظما في يوم كان اللّسان فيه صناعة ، والمنطق بضاعة.

وماعاد عجبا أن يقف العرب كلّهم عاجزين عن الإتيان بمثله على الرّغم من سهولته ويسره. ولو جاء غريبا وحشيّا لتحجّجوا بذلك في عجزهم عن مجاراته، وما ذاك إلّا لأنّه تنزيل الحكيم الحميد.

وقد ظهر لنا من خلال القراءة في الكتاب العزيز، والنّظر إلى إشارات علماء اللّغة والتّفسير بعضُ هذه المظاهر الّتي تدلّ على تيسير اللّغة على السّامع. فمن جانب الألفاظ، سهولتها وبعدها عن الوحشيّ والسّوقيّ من الكلام، وتكرار الآيات المتشابهة لفظا ومعنى، ونزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، والعناية الشّديدة باختيار الأصوات المناسبة للمعاني، وجمال وقعها في النّفس. ومن جانب المعاني، اختيار الصّور الصّادقة اللّاصقة بحياة الإنسان، ومخاطبة العقل، وترك المبالغات الّتي تبتعد عن الواقع. ومن جانب الشّكل، دور الفواصل القرآنيّة في تسهيل الفهم

والحفظ، والرّسم القرآنيّ الدّالّ على اهتمام العلماء بتسهيل قراءة القرآن وفهمه، وأثر قِصَر بعض السّور وطولها في ذلك [1].

وقد تناولنا في هذه الدراسة مظهري التّيسير اللّغويّ في الخطاب القرآنيّ الكريم في إطار المعاني، وهما: الإطناب في المعاني، والتصوير القرآني.

وإذا عرفنا أنّ هذا القرآن الكريم متعبّد بتلاوته، وواجب على المسلم قراءته، أدركنا سرّ هذا التّيسير للعجم والعرب على مرّ الزّمان. ولا يخطر في بال أحد أنّ تيسير لغة القرآن قادح في إعجازه، أو حاطّ من علوّ شأنه، بل إنّ هذه الميزة قد زادت في إعجازه وبلاغته.

مدخل :

دعوة الإسلام إلى التّيسير:

من المعلوم أنّ الإسلام يدعو إلى التّيسير في شؤون الحياة كلّها، في العبادات والمعاملات. وكان عليه الصّلاة و السّلام المثل الأعلى في انتهاج هذه السّبيل، وهو القائل: " يسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا

١ . الشعرات ، التيسير اللغوي ، ١-٢ .

ولا تنفّروا " [١]. وتقول أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: " ما خيّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أمرين إلّا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما " [٢].

بل إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يسعى إلى رفع المشقّة والحرج عن المسلمين في معاملاتهم ويقول: " اللّهمّ من ولي من أمر أمّتي شيئا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمّتي شيئا فرفق بهم فارفق به " [٣].

وكذلك جاءت أحكام الشّريعة يسرة سهلة، لا تحمّل الإنسان ما لا طاقة له به، فمن لم يستطع الصّلاة قائما صلّى قاعدا. ومن لم يستطع الصّوم فعليه الفدية. والحجّ واجب على من استطاع إليه سبيلا.

وما كان ذلك إلّا رحمة من الله تعالى، وميزة اختصّ بها خاتمة الأمم، ودينها الّذي جاء كافّة للنّاس أحمرهم، وأسودهم، وعربيّهم، وعجميّهم.

---

١. البخاريّ، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل(ب. ت). صحيح البخاريّ، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، ج١ : ٢٧.
٢. السّابق، ج٤ : ٢٣٠.
٣. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج(١٩٨٧). مختصر صحيح مسلم، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ص ٢٧٦.

وتبعا لذلك فقد جاءت اللّغةُ العربيّة لغةُ هذا الدّين يسرة سهلة يستطيعها العالم والجاهل، والصّغير والكبير، في ألطف ألفاظها، وأحلى معانيها، وأبهى صورها، وأبلغ نظم عرفته اللّغة منذ كانت.

وإنّ من عرف لغة العصر الجاهليّ التي جاء القرآن الكريم في زمانها ليعجب كلّ العجب من اختلاف ما بينهما، فكم من لفظ غريب وحشيّ قد اطُّرح! وكم من معنى مستبرد قد هُجر! وكم من لغة معيبة من لغات العرب قد أُهملت! وما عادت اللّغة حبيسة التّقاليد الجاهليّة في بناء فنونها الأدبيّة، والتزام طريق واحد في أقوالها الخطابيّة. وبيّن ذلك الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن الكريم، إذ لم يملك نفسه في إبداء العجب والدّهشة من بليغ بيان القول، فقال لأبي جهل: " والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّي، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده منّي، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه هذا الّذي يقول شيئا من هذا. والله إنّ لقوله الّذي يقول حلاوة، وإنّ عليه

لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو وما يعلى، وإنّه ليحطم ما تحته " [1].

فالقرآن الكريم قد غيّر في لغة الخطاب السّائد آنذاك في حياة العرب، إذ لا نجد فيه الغزل الفاحش، ولا الهجاء المقذع، ولا المدح الكاذب، ولا العصبيّة الجاهليّة، ولا رثاء النّائحين، ولا كهانة الكاهنين. وكما كان التّغيير في المضمون كان التّغيير في الشّكل؛ فالقرآن الكريم ليس كالشّعر في بحوره و قوافيه، وليس كالنّثر الّذي لا ترتيب له، بل كان قرآنا عجيبا في سوره، وآياته، وفواصله، ورؤوس آيه، القصير منه كالطّويل في إعجازه و بيانه.

١. البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين(١٩٩٩). الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرّشاد، تحقيق: أحمد أبو العينين، الرّياض: دار الفضيلة، ص ٣٥٨.

التّيسير اللّغويّ في إطار المعاني:

المظهر الأوّل: الإطناب في المعاني .

الإطناب في المعاني من مظاهر تيسير الله تعالى في لغة القرآن الكريم لإيصال المعنى إلى السّامع بزيادة الألفاظ على المعاني، فالإطناب " هو أداء المقصود من الكلام بأكثر من عباراته سواء كانت القلّة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل " [١]. ويعرف أيضا بأنه: " العبارة عن المعنى بالكلام الكثير الّذي يستفاد منه إيضاح المعنى، وتفصيله " [٢].

والغرض من ذلك تأكيد المعنى بتلك الألفاظ الّتي تزاد على ما يحتاجه المعنى من ألفاظ، وليس المقصود بذلك التّطويل، أو الحشو الّذي

١. القزوينيّ، أبو عبدالله محمّد بن سعد الدّين الخطيب(١٩٩٨). الإيضاح في علوم البلاغة (مختصر تلخيص المفتاح)، راجعه: بهيج غزّاويّ، ط ٤، بيروت: دار إحياء العلوم، ص ١٧٠.
٢. ابن سنان الخفاجيّ، أبو محمّد عبدالله بن سعيد الخفاجيّ(٢٠٠٦). سرّ الفصاحة، فهرسة: داود غطاشة،
عمّان: دار الفكر، ص ٢٠١.

لا فائدة فيه. فالتّطويل " زيادة اللّفظ عن المعنى لغير فائدة " [١]، دون أن يتعيّن الزّائد، كقول عديّ بن زيد العباديّ [٢]:

فقدّدَتِ الأديم لراهشَيْهِ وألفى قولها كذبا و مَيْنا

فإنّ الزّائد هو: كذبا أو مينا ، جاء لغير فائدة، ولم يتعيّن أحدهما للزّيادة، ولم يترجّح، لذا عُدّ هذا النّوع من الكلام عيبا و تطويلا؛ لأنّه جاء بلفظ كثير في ما يكفي منه القليل [٣].

أمّا إذا زاد اللّفظ على المعنى لغير فائدة، وكان هذا اللّفظ متعيّنا، فهو الحشو، كما يُفهم ذلك من قول الخطيب القزوينيّ (ت ٧٣٩ هـ): " والحشو ما يتعيّن أنّه الزّائد، كقول أبي الطّيّب [٤]:

---

١. ابن الأثير، ضياء الدّين أبو الفتح نصرالله بن أبي الكرم(١٩٦٤). المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدويّ طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر، ج ٢ : ٣٤٤.

٢. العباديّ، عديّ بن زيد(١٩٦٥). ديوان عديّ بن زيد العباديّ، تحقيق: محمّد جبّار المعيبد، بغداد: شركة دار
الجمهوريّة للنّشر والطّباعة، ص ١٨٣.

٣. القزوينيّ، الإيضاح، ص ١٧١.

٤. المتنبّي، أبو الطّيّب أحمد بن الحسين(١٩٧٨). ديوان أبي الطّيّب المتنبّي، تقديم: عبدالوهّاب عزّام، بيروت: دار الزّهراء، ص ٢٦٤.

ولا فضل فيها للشّجاعة والنّدى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فإنّ لفظ (النّدى) فيه حشو يفسد المعنى؛ لأنّ المعنى: أنّه لا فضل في الدّنيا للشّجاعة، والصّبر، والنّدى لولا الموت، وهذا الحكم صحيح في الشّجاعة دون النّدى؛ لأنّ الشّجاع لو علم أنّه يخلد في الدّنيا لم يخش الهلاك في الإقدام، فلم يكن لشجاعته فضل، بخلاف الباذل ماله، فإنّه إذا علم أنّه يموت هان عليه بذله " [1].

أمّا الإطناب فإنّه يحمد إذا كان فيه فائدة، بل إنّ علماء اللّغة عدّوا ترك الإطناب نقيصة في المتكلّم إذا كان الموقف الّذي هو فيه محتاجا إلى الإطناب، يقول أبو هلال العسكريّ (ت ٣٩٥ هـ): " والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، وكلّ نوع منه، و لكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التّدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ. كما روي عن جعفر بن يحيى أنّه قال مع عجبه بالإيجاز: متى كان

١. القزوينيّ، الإيضاح، ص ١٧١-١٧٢ .

الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيّا، ومتى كانت الكناية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيرا " [١].

والإطناب من أسرار البلاغة كما بيّن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في قوله: " قال لي ابن الأعرابيّ: قال لي المفضّل بن محمّد الضّبيّ: قلت لأعرابيّ منّا: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل " [٢].

ومن مظاهر تيسير لغة القرآن الكريم أنّه لم يقتصر في خطابه كلّه على الإيجاز وحده، ولا على الإطناب وحده، بل جعل لكلّ واحد منهما القدر الّذي يُحتاج إليه في خطاب الخاصّة والعامّة، ولو جاء القرآن الكريم كلّه إيجازا لتعسّر فهمه على أكثر النّاس؛ لأنّ من النّاس من تكفيه الإشارة الخاطفة لفهم الخطاب، ومنهم من يلزمه لذلك البسط في القول، والإطناب

١. العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبدالله (١٩٥٢). الصّناعتين: الكتابة والشّعر، تحقيق: عليّ البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة ، ص ١٩٠.

٢. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ب . ت).البيان والتّبيين، بيروت: دار الكتب العلميّة، ج١: ٥٤.

فيه، فالخطاب القرآنيّ إذا كان موجّها للعرب أخرج الكلام مخرج الإشارة، والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل، أو حكى عنهم بسط القول، وزاد في الكلام.

ومن أشكال الإطناب الّتي جاء بها القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ الحجر: ٦٦. يقول عبد العزيز عتيق: " فإنّ قوله تعالى: ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ إيضاح للإبهام الّذي تضمّنه لفظ (الأمر)، وذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن السّامع بذكره مرّتين: مرّة على طريق الإجمال والإبهام، ومرّة على طريق التّفصيل والإيضاح " [1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ الصّفّ : ١٠ – ١١. فقد ذكر الله تعالى (التّجارة) وهي لفظ جاء مجملا

١. عتيق، عبدالعزيز (ب.ت). علم المعاني – البيان – البديع، بيروت: دار النّهضة العربيّة، ص ١٨٢.

مبهما للتّشويق، واستمالة السّامع، ثمّ فصّل ذلك في الآية بعدها ببيان صفة هذه التّجارة ، ومقصودها ليزداد المعنى شرفا ونبلا.

ويـأتي كـذلك لتأكيـد المعنـى، كقولـه تعـالى: ﴿٧٨﴾ فَوَيْـلٌ لِّلَّـذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّـهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة: ٧٩. فقد جاءت كلمة (بأيديهم) لتؤكّد ما قاموا به من تحريف لكتاب الله تعالى بعلمهم ، وإرادتهم.

وقد يأتي الإطناب لغرض الإحاطة، والشّمول، كقوله تعالى: ﴿٢٥﴾ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّـهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ** ﴿٢٦﴾ النّحل : ٢٦ . فجاء بلفظ (من فوقهم) . والسّقف لا يخرّ إلّا من فوق ، ولكن جيء به ليبيّن للسّامع أنّ السّقف قد انهدّ عليهم، وأحاط خرّه بهم، ولم يغادر منهم شيئا، وذلك بيان لما أراده الله تعالى من تهويل الأمر في العقوبة الّتي أعدّها الله تعالى لكلّ من يمكر بهذا الدّين، ويسعى لإطفاء نور الله تعالى.

وللإطناب أثر كبير في إكساب السّامع مخزونا لغويّا يجده في التّفصيل والتّكرير لبعض الألفاظ الّتي يتأكّد معناها بسبب هذا اللّون من ألوان البيان؛ فهو يمثّل ظاهرة أسلوبيّة تقوم على تفجير شحنات فكريّة لدى المتلقّي بهدف إحداث صدمة لغويّة عند الطّرف المستقبل، وجعل ذهنه في حال استنفار دائم [1]. ومن ذلك تأثير ظاهرة الإطناب في استدرار خزائن العقول لما يتردّد في النّصّ من ربط بين ما يُبدأ به، وما يُنتهى إليه. وانظر إلى أثر ذلك في قوله تعالى: ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ البقرة : ١٩٦.

١. سليمان، فتح الله أحمد(٢٠٠٨). الأسلوبيّة: مدخل نظريّ ودراسة تطبيقيّة، القاهرة: مكتبة الآداب، ص ٢٦.

فالإطناب في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، وفي ذلك تحريك لذهن السّامع، وتأكيد لمجموع تلك الأيّام الّتي سيصومها الحاجّ الّذي لم يجد ثمن الهدي، وقد جعل الله تعالى عدّة هذه الأيّام عشرة، يصوم الحاجّ منها ثلاثة أيّام في الحجّ، وسبعة أيّام إذا رجع إلى بلده، وحتّى لا ينسى الحاجّ هذه العدّة قسّمها الله تعالى بهذا التّفصيل، وأكّد مجموعها بعد ذلك؛ لأنّ صيام الأيّام الثّلاثة معروف عند المسلمين، وقد اعتادوا عليه، أمّا صيام الأيّام السّبعة فليس من عادة النّاس صيامها. وحتّى لا يشكل على الصّائم عدّتها ذكر الله تعالى مجموعها إجمالا بعد تفصيل. وقد جاء التّأكيد على عدّة هذه الأيّام؛ ليُعلم العدد جملة كما عُلم تفصيلا، ليُحاط به من جهتين فيتأكّد العلم. وفي أمثال العرب: علمان خير من علم [1].

١. الخطيب القزوينيّ، الإيضاح، ص ١٩٨.

المظهر الثّاني: التّصوير القرآنيّ

بينا نرى القرآن الكريم يغيّر في ألفاظ لغة الخطاب الجاهليّ، ويهذّبها، نراه كذلك يغيّر في المعاني الجاهليّة، ويوجّه الخطاب إلى معان أسمى، وأصدق، لا تبلى ولا تبيد على مرّ الزّمان، فجعل يحارب العادات القبيحة، والأفكار الضّالّة، والخرافات الّتي ليس لها وجود في الحياة. كلّ هذا، وأكثر منه كان دينا للعرب في جاهليّتهم، نشؤوا عليه، وورّثوه مَن بعدهم، حتّى جاءت رحمة الله تعالى للنّاس برسالة محمّد صلّى الله عليه وسلّم الّتي تنقّي حياة النّاس ممّا علق بها من الأوهام، والخرافات، وسيّئ التّقاليد والعادات. وما كان ذلك ليكون لولا نزول لغة هذا الدّين بما تدين لها عقول النّاس من فصاحة في القول، وإعجاز في النّظم، وخطاب للعقل. ولذا فقد رأينا النّاس قد تركوا ما كانوا عليه من عبادة للأصنام، واستسلام للأوهام الّتي فشت فيهم كالعرافة، والتّنجيم، والكهانة، والطّيرة، والضّرب بالحصى، والبيات مع الغيلان، ومجاوبة الهواتف، وتزوّج السّعالي، وصحبة الرّئيّ، والهامة، وصَفَر. كلّ هذه التّصويرات الكاذبة هجرها القرآن الكريم، وبيّن بطلانها، وحذّر النّاس من تصديقها والعمل بها، لما لها من أثر المشقّة، والعنت في

حياة النّاس، بعد أن تفنّن الكهّان في تضليل النّاس، وبعدما سيطر العرّافون على عقولهم، وشايعهم الشّعراء في نشر هذه الأوهام، والخرافات بين النّاس. يقول الله تعالى: ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ الشّعراء: ٢٢٤ – ٢٢٦.

وبناء على ما سبق، كان الكثير من لغة الخطاب مملوءا بالتّصويرات الّتي يميل أصحابها إلى الإغراب فيها نظرا لغرابة هذه التّصويرات أنفسها. ولا شكّ أنّ الغرابة في التّصوير تؤدّي إلى الغرابة في الألفاظ، ومن ثمّ صعوبة وصول المعنى إلى السّامع الّذي لم يعهد مثل هذه التّصويرات، ومن ذلك قول (تأبّط شرّا) في وصف منازلة بينه وبين الغول[1]:

١. تأبّط شرّا، ثابت بن جابر(١٩٩٩). ديوان تأبّط شرّا وأخباره، تحقيق: عليّ ذو الفقار شاكر، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ص ٢٢٢-٢٢٧.

ألا من مبلغٌ فتيانَ فهْمٍ بما لاقيتُ عند رحى بطانِ

بأنّي قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصّحيفة صحصان

وكان من زعم العرب أنّ الغول لا تموت إلّا بضربة واحدة، فإذا ثُنّيت بأخرى قامت إلى الضّارب واجتالته، إلّا أنّ تأبّط شرّا يدرك هذا الأمر، ولا يلتفت إلى طلب الغول تثنية الضّربة، فيقول: [1]

فأضربها بلا دهش فخرّت صريعا لليدين وللجران

فقالت: عدْ، فقلت لها رويدا مكانك إنّني ثبت الجنان

ثمّ يصوّر لنا صورة هذه الغول بأوصاف لا يعقلها العاقل، ويحار في رسم صورتها في ذهنه لغرابة ما يختار الشّاعر من أوصاف متعدّدة تتوزّع في غير مخلوق واحد، وكلّ ذلك لتهويل أمر هذه الغول، و بثّ الرّعب في قلوب السّامعين كبارا و صغارا، و لإبراز شجاعة الفرد و جرأته، فيقول:[2]

فلم أنفكَّ منّكئا لديها لأنظر مصبحا ماذا أتاني

إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهرّ مشقوق اللّسان

---

١ . السابق.

٢ . السابق.

وساقا مخدج ، وشواة كلب وثوب من عباء أو شنان

ومن الخرافات الّتي كان يصوّرها الشّعراء الجاهليّون في أشعارهم اعتقادهم بأنّ روح القتيل تظلّ تحوم على شكل طائر يسمّى (الهامة) عند قبره، وهي تقول: اسقوني، اسقوني من دم قاتلي، حتّى يؤخذ الثّأر له من قاتله. وقد أفرد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) للهامة بابا في كتاب الحيوان جاء فيه:

" ما قيل من الشّعر في الهامة والصّدى: وقال خزيمة بن أسلم:

فلا تزْقُوَنّ لي هامةٌ فوقَ مرقبٍ فإنّ زُقاءَ الهامِ أخبثُ خابث

وقال عبدالله بن خازم أو غيره:

فإن تك هامةٌ بهراة تزقو فقد أزقيتَ بالمروينِ هاما " [1]

لهذا جاء القرآن الكريم بتصويرات تخالف تلك التّصويرات الفاسدة، وما تقتضيه تلك التّصويرات من اختلاق للألفاظ، وإغراب في الخيال. وكانت المساجلة بينه وبين تصويرات الجاهليّة، فما كان من العرب إلّا أن

١. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(١٩٦٥). الحيوان، تحقيق: عبدالسّلام هارون، ط ٢، القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج٢: ٢٩٩.

استسلموا لتلك التّصويرات القرآنيّة الباهرة، وحكموا لها بالفضل، بعد أن علموا فساد تصويرات الجاهليّة، ولعبها بعقولهم.

وقد جاء التّصوير في القرآن الكريم سهل المنال، قريب المأخذ، يختار من حياة النّاس ما ألفوه، وما كان ماثلا أمامهم ليل نهار، ولم يأتهم من صور الجاهليّة بأوهامها، ولا بخرافاتها الّتي تذهب بالسّامع بعيدا عن الواقع الّذي يحياه، وما ترنو إليه عيناه. ثمّ يصوّر هذه التّصويرات أحسن تصوير، ويلقيها إلى النّاس وهي تنبض بالحياة، وكأنّها صورة قد نفخت فيها الرّوح حتّى كادت أن تتكلّم.

فالتّصوير الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصّورة المُحسّة المتخيّلة عن المعنى الذّهنيّ، والحالة النّفسيّة، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النّموذج الإنسانيّ، والطّبيعة البشريّة. ثمّ يرتقي بالصّورة الّتي يرسمها فيمنحها الحياة الشّاخصة أو الحركة المتجدّدة [1].

١. قطب، سيّد(١٩٨٨). التّصوير الفنّيّ في القرآن، ط ١٠، القاهرة: دار الشّروق، ص ٣٦.

وكلّما كانت الصّورة أقرب إلى الحقيقة، كان فهمها أيسر، وتخيّلها أصدق. ونضرب لهذا مثلا من بلاغة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في وصف الجنّة، والنّار، إذ يصوّرهما للسّامعين كأنّهم رأي عين، لشدّة وضوح الصّورة الّتي يصفها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في نعوت الجنّة، والنّار، كما قال حنظلة لأبي بكر رضي الله عنهما: " نكون عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يذكّرنا بالنّار والجنّة كأنّا رأي عين " [١].

ومن تيسير الله تعالى للغة الخطاب القرآنيّ الكريم أن جاءت التّصويرات القرآنيّة حقيقيّة صادقة، سهلة المأخذ، قريبة الفهم، لا كما كان عليه حال بعض الشّعر من مبالغات تقود الشّاعر أحيانا إلى التّعمية، والإبهام، حتّى قيل: إنّ أعذب الشّعر أكذبه. ولعلّ بيت الشّعر الّذي قاله امرؤ القيس دليل على سوء التّصوير، الأمر الّذي جعل المرزبانيّ (ت ٣٨٤ هـ) يثبته في مآخذ العلماء على الشّعراء، وذلك في قوله:

١. التّرمذيّ، سنن التّرمذيّ (الجامع الكبير)، ٤ : ٢٨٣.

فللسّاقِ ألهوبٌ وللسّوطِ درّةٌ وللزّجرِ منه وقعُ أهوجَ مِنْعَبِ [1]

وفي هذا البيت يصوّر امرؤ القيس سرعة فرسه، مستعملا أدوات الزّجر الّتي تبعث الفرس على الانطلاق، كالسّاق، والسّوط، والزّجر، وهذه أدوات لو حرّك بها فيل لكاد أن يطير، ولو كان فرسه جوادا لما احتاج هذه الأدوات مجتمعة. يقول المرزبانيّ في هذه الصّورة: " فقيل فيه: إنّ فرسا يُحتاج إلى أن يُستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد " [2].

وقد أوصلت هذه المبالغة في التّصوير شاعرا فحلا مثل كعب بن زهير إلى الإغراق في الوصف، والتّعنيت على السّامع في الوصول إلى

١. امرؤ القيس، ابن حُجر بن الحارث(ب.ت). ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، القاهرة : دار المعارف ص ٥١.
٢. المرزبانيّ، أبو عبدالله محمّد بن عمران(١٩٩٥). الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء، تحقيق: محمّد حسين شمس الدّين، بيروت: دار الكتب العلميّة، ص ١١٠.

مراد الشّاعر بعد مكابدة طويلة. كوصفه لسرعة ناقته في قصيدته المشهورة الّتي أنشدها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذلك في قوله[1]:

كأنّ أوب ذراعيها وقد عرقت وقد تلفّع بالقور العساقيلُ

ومن هنا بدأ يصف سرعة ناقته وهي تسير به في رحلته الطّويلة، والشّاعر ينظر إلى حركة ذراعيها وهي تجمح به لتنقذه بالخلاص من قطع هذه الرّحلة المملوءة بالمخاطر، ولا شكّ في أنّ السّامع ينتظر كعبا ليبيّن له كيف يكون (أوب ذراعيها) أي سرعة تقلّب ذراعيها، ورجوعهما، كأنّ أوب ذراعيها ... إلّا أنّ كعبا يترك خبر تلكما الذّراعين، وينقل السّامع إلى مشهد آخر، وهو عَرَق هذه النّاقة لشدّة حرّ ذلك اليوم، ولذا يبدو السّراب في هذه الصّورة وكأنّه مِلْفع يغطّي تلك الجبال الّتي يمر بها الشّاعر في رحلته تلك.

وبعد هذه الصّورة ينتقل كعب بالسّامع إلى مشهد ثالث دون أن يعطيه خبر تينك الذّراعين، وهو حال الحرباء الّذي وجد حرّ هذا اليوم

١. أبو سلمى، كعب بن زهير(١٩٩٤). ديوان كعب بن زهير، بيروت: دار الكتاب العربيّ، ص٣٥. ومطلع القصيدة: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متـيّم إثرها لم يفد مكبول

في تلك الأرض الملتهبة، وكأنّه وهو يحترق بلهيب تلك الشّمس خبز قد وضع في التّنّور لينضج كلّ النّضج. يقول:

يوما يظلّ به الحرباء مصطخدا كأنّ ضاحيه بالشّمس مملولُ

ثمّ يستطرد الشّاعر دون أن يخبر بخبر الذّراعين إلى مشهد رابع وهو ما يشير به حادي القوم على صحبه من رأي لتفادي حرّ هذا اليوم بأن يقيلوا فيستريحوا حتّى يخفّ وهج تلك الهاجرة. وفي هذه الصّورة أيضا يظهر مشهد خامس وهو ركض الجنادب الرّماديّة اللّون في تلك القفار الموحشة بحثا عن ملاذ تتّقي فيه لهيب الأرض المحرقة، فيقول:

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

ثمّ يضيف الشّاعر مشهدا سادسا قبل أن يأتي بخبر الذّراعين، وهو الوقت الّذي كانت النّاقة تركض فيه، وهو شدّ النّهار، عندما تكون الشّمس في كبد السّماء وحرّها عندئذ أشدّ ما يكون، يقول:

شدّ النّهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاوبها نكد مثاكيلُ

وبعد طول انتظار يأتي الشّاعر بخبر الذّراعين كأنّهما ذراعا امرأة طويلة صغيرة السّنّ شديدة قامت تنوح على فقد بكرها، وتلطم وجهها بكفيّها

نياحة عليه، فشبّه الشّاعر سرعة ذراعي النّاقة بسرعة هذه المرأة في لطم وجهها حزنا على بكرها. فانظر كم من صورة جاء بها الشّاعر كادت تنسي السّامع ما بدأ به القول؟ ولا يفطن لذلك إلّا من خبر طرائق الشّعراء الجاهليّين في الوصف، فكيف يكون حال غير العربيّ في ذلك؟

ونجد مثل هذه المبالغة في التّصوير عند أبي تمّام، الأمر الّذي جعل النّقاد يوجّهون إليه سهامهم في العيب عليه لتكلّفه، وظهور أثر الصّنعة في شعره، ومنها قوله [1]:

وتقسّم النّاس السّخاء مجزّأ وذهبت أنت برأسه وسنامه

وتركت للنّاس الإهاب و ما بقي من فرثه وعروقه وعظامه

يقول فيه ابن سنان (ت ٤٦٦ هـ): " ولم يقنع بأن استعار للسّخاء رأسا، وإهابا، وعظاما، وعروقا، حتّى جعل له فرثا " [2].

١. أبو تمّام، حبيب الطّائيّ(١٩٨١). شرح ديوان أبي تمّام، شرح إيليّا الحاوي، بيروت: دار الكتاب اللّبنانيّ،
ص ٥٥١.
٢. ابن سنان، سرّ الفصاحة، ص ١٣٧.

أمّا صور القرآن الكريم فليس هذا سبيلها، لرحمة الله تعالى في تيسير لغة الخطاب القرآنيّ الكريم الّتي جاءت للعربيّ، وغير العربيّ، فلا يجد في فهمها العناء الّذي يجده في لغة الجاهليّين بألفاظها، وصورها. بل إنّ النّاس على اختلاف عقولهم، وأفهامهم، وعلومهم، ليجدون في القرآن الكريم ما يناسب أفهامهم، وعلومهم، وكأنّه يخاطب كلّ إنسان بما يستطيع إدراكه من أنواع الخطاب. ونذكر من هذه الصّور قوله تعالى:

﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ الأعراف: ٤٠.

وهنا يبيّن الله تبارك وتعالى بكلّ وضوح حال الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى، واستكبروا عنها، فإنّهم لن يدخلوا الجنّة، وحتّى يعقل النّاس هذه الحال، ويقرّ في نفوسهم استحالة دخول الجنّة لمن كانت هذه حاله، جاء بهذه الصّورة الّتي لا تدع للطّمع في الجنّة بهذه الحال مجالا، وتلك هي صورة من يرجو أن يدخل حبلا غليظا في خرم إبرة صغيرة. وهذه صورة

منتقاة من حياة النّاس، فكم من إنسان حاول أن يُدخل خيطا رقيقا في خرم إبرة؟ وكم مرّة فشل في ذلك والحال بخيط رقيق؟ وكيف تكون حاله لو جئناه بحبل غليظ وطلبنا منه محاولة ذلك؟ فهي صورة بليغة جاءت بألفاظ يسيرة، وتصوير ما أسهل مورده! وما أجلّ مقصده!

ولو ظنّ أحد النّاس أنّ المقصود بالجمل هو ذات الجمل المعروف من الإبل لكانت هذه الصّورة أشدّ إعجازا، فكيف لجمل هذا حجمه أن يدخل من خرم هذه الإبرة الصّغيرة؟ أليست هذه الصّورة قريبة من حياة النّاس؟ و هل في فهمها أيّ مشقّة، أو حرج؟ إنّه التّيسير الّذي بيّنه ربّ العزّة، ووعد به، فهل من مدّكر؟

وصورة أخرى في قوله تعالى:

﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّـهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

العنكبوت: ٤١.

وانظر إلى هذه الصّورة المألوفة الّتي اختارها الله تعالى لكلّ من يتّخذ غير الله سبحانه ناصرا ومعينا، ولا يلجأ إليه في حاجاته وتصريف أموره، ويعتقد أنّ غير الله تعالى بيده الضّرّ والنّفع من دون الله تعالى. فإنّ كلّ ما يُتعلّق به من دون الله تعالى واهٍ، سرعان ما يخذله ويسلمه، كبيت العنكبوت الّذي لا يدفع عنها عدوّا، ولا بردا، ولا حرّا، ولا شيئا، على الرّغم ممّا تعبت من أجله العنكبوت في بناء هذا البيت، وهي تظنّ فيه المنعة، والمنفعة، فإذا ما لجأت إليه هربا من عدوّ فإنّه لا ينفعها، ولا تجد فيه ما رجته منه. وقد اختار الله تعالى بيت العنكبوت ليكون مثلا لكلّ ما يعبد من دون الله تعالى، وما من دابّة في الأرض إلّا وبيتها ينفعها بعض النّفع غير العنكبوت.

ومن هذه الصّور قوله تعالى:

﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الكهف: ٤٥.

وهذه صورة أخرى من حياة النّاس، يضربها الله تعالى مثلا للحياة الدّنيا في سرعة فنائها، وقصر خطرها، تلك هي أيّام الرّبيع القصيرة، الّتي تمرّ مرّ البرق، ويحزن النّاس على انتهاء جمالها، فما أن ينزل الماء حتّى تُخرج الأرض مفاتنها، وينشغل النّاس بزينتها، ويلهون بربيعها. وبينا هم في حبرة، ونضرة، إذ جاء الصّيف فصيّر الخضرة صفرة في قليل من الزّمن، وكأنّ شيئا لم يكن، وتلك هي حياة الإنسان يخرج طفلا، ثمّ يكون شابّا ممتلئا حياة، وقوّة، ثمّ يدور عليه الزّمان فتخور قواه، وينحني ظهره، ويغزوه الشّيب، وكأنّ حياته كانت حلما قصيرا مرّ به.

ومن هذه الصّور أيضا قوله تعالى:

﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

فصّلت:٣٩.

وهذه من الصّور الّتي يراها النّاس، ويسهل عليهم فهمها، وهي صورة الأرض قبل نزول الغيث عليها، فبعد أن كانت ميتة لا حياة فيها، قد تساقط الورق عن أشجارها فأصبحت أعوادا يابسة ، واصفرّت زروعها فلم يبق فيها عرق أخضر، ولم يعد فيها بهجة، ولا نضرة، أنزل الله عليها الماء فإذا هو كالرّوح يمدّها بالحياة، فتهتزّ، وتتحرّك، وتُخرج من داخلها كلّ بهيج، وتكسو معالمَها الخضرة، والنّضرة. صورة قريبة من حياة النّاس تدلّ على قدرة الله تعالى في إحياء الأرض، والإنسان.

الخاتمة:

تُعد هذه الدراسة واحدة من سلسلة دراسات مقدمة للنشر في مجلات علمية، وهي تعنى بالحديث عن التّيسير اللّغويّ في الخطاب القرآنيّ الكريم في إطار الألفاظ، والمعاني، والشكل. وقد خصصنا هذه الدراسة للحديث عن التّيسير اللّغويّ في الخطاب القرآنيّ الكريم في إطار المعاني. وتناولنا فيها مظهرين من مظاهر ذلك التيسير اللغوي في إطار المعاني، وهما: الإطناب في المعاني، والتصوير القرآني. وهي ترفد علوم القرآن الكريم برافد جديد هو بيان جوانب التّيسير اللّغويّ في القرآن الكريم.

وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى أن من مظاهر تيسير لغة القرآن الكريم أنّه لم يقتصر في خطابه كلّه على الإيجاز وحده، ولا على الإطناب وحده، بل جعل لكلّ واحد منهما القدر الّذي يُحتاج إليه في خطاب الخاصّة والعامّة، ولو جاء القرآن الكريم كلّه إيجازا لتعسّر فهمه على أكثر النّاس؛ لأنّ من النّاس من تكفيه الإشارة الخاطفة لفهم الخطاب، ومنهم من يلزمه لذلك البسط في القول، والإطناب فيه، فالخطاب القرآنيّ إذا كان موجّها

للعرب أخرج الكلام مخرج الإشارة، والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل، أو حكى عنهم بسط القول، وزاد في الكلام. وجاء الإطناب لأغراض منها زيادة تقرير المعنى في ذهن السامع، والتشويق واستمالة السامع، ... .

ومن نتائج هذه الدراسة أيضا أننا بينا أن التصوير القرآني جاء سهل المنال، قريب المأخذ، يختار من حياة النّاس ما ألفوه، وما كان ماثلا أمامهم ليل نهار، ولم يأتهم من صور الجاهليّة بأوهامها، ولا بخرافاتها الّتي تذهب بالسّامع بعيدا عن الواقع الّذي يحياه، وما ترنو إليه عيناه. ثمّ يصوّر هذه التّصويرات أحسن تصوير، ويلقيها إلى النّاس وهي تنبض بالحياة، وكأنّها صورة قد نفخت فيها الرّوح حتّى كادت أن تتكلّم.

وإننا لنوصي في هذه الدراسة بالوقوف عند نماذج أخرى من سور القرآن الكريم وآياته لتبين ذينك المظهرين من مظاهر التّيسير اللّغويّ في الخطاب القرآنيّ الكريم في إطار المعاني: الإطناب في المعاني، والتصوير القرآني.

ونوصي كلّ أديب وشاعر بل كلّ ناطق باللغة العربية لغةً هدفاً أن ينهل من هذا المعين الّذي لا ينضب، وأن يحاكي لغة القرآن الكريم

وأسلوبه، ليدرج في مراتب الفصاحة والبلاغة. ولا يكون ذلك إلّا بقراءة هذا الكتاب العزيز مرارا وتكرارا طلبا للثّواب.

المصادر والمراجع:

١- **القرآن الكريم.**

٢- ابن الأثير، ضياء الدّين أبو الفتح نصرالله بن أبي الكرم(١٩٦٤). **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، تحقيق أحمد الحوفي وبدويّ طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر.

٣- امرؤ القيس، ابن حُجر بن الحارث(ب.ت). **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، القاهرة: دار المعارف.

٤- البخاريّ، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل(ب . ت). **صحيح البخاريّ**، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.

٥- البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين(١٩٩٩). **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرّشاد**، تحقيق أحمد أبو العينين، الرّياض: دار الفضيلة.

٦- تأبّط شرّا، ثابت بن جابر(١٩٩٩). **ديوان تأبّط شرّا وأخباره**، تحقيق علي ذو الفقار شاكر، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ.

٧- التّرمذيّ، أبو عيسى محمّد بن عيسى(١٩٩٦). **سنن التّرمذيّ (الجامع الكبير)**، تحقيق/ بشّار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ.

٨- أبو تمّام، حبيب بن أوس الطّائيّ(١٩٨١). **شرح ديوان أبي تمّام**، شرح إيليّا الحاوي، بيروت: دار الكتاب اللّبنانيّ.

٩- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر،

أ. (ب . ت).**البيان و التّبيين**، بيروت: دار الكتب العلميّة.

ب. (١٩٦٥). **الحيوان**، تحقيق عبدالسّلام هارون، ط ٢، القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٠- أبو سلمى، كعب بن زهير(١٩٩٤). **ديوان كعب بن زهير**، بيروت: دار الكتاب العربيّ.

١١- سليمان، فتح الله أحمد(٢٠٠٨). **الأسلوبيّة: مدخل نظريّ ودراسة تطبيقيّة**، القاهرة: مكتبة الآداب.

١٢- ابن سنان، أبو محمّد عبدالله بن سعيد الخفاجيّ(٢٠٠٦). **سرّ الفصاحة**، فهرسة داود غطاشة، عمّان: دار الفكر.

١٣- الشعرات، محمد حميدي حمدان(٢٠١٤م).التيسير اللغوي في الخطاب القرآنيّ الكريم، رسالة ماجستير بإشراف محمد عبدالله صالح أبوالرب، جامعة الشرق الأوسط.

١٤- العباديّ، عديّ بن زيد(١٩٦٥). **ديوان عديّ بن زيد العباديّ**، تحقيق محمّد جبّار المعيبد، بغداد: شركة دار الجمهوريّة للنّشر والطّباعة.

١٥- عتيق، عبدالعزيز(ب . ت). **علم المعاني – البيان – البديع**، بيروت: دار النّهضة العربيّة.

١٦- العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبدالله (١٩٥٢). **الصّناعتين: الكتابة والشّعر**، تحقيق علي البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة.

١٧- القزوينيّ، أبو عبدالله محمّد بن سعد الدّين الخطيب(١٩٩٨). **الإيضاح في علوم البلاغة (مختصر تلخيص المفتاح)**، راجعه بهيج غزّاويّ، ط ٤، بيروت: دار إحياء العلوم.

١٨- قطب، سيّد(١٩٨٨). **التّصوير الفنّيّ في القرآن**، ط ١٠ ، القاهرة: دار الشّروق.

١٩- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر، (ب . ت). **تفسير القرآن العظيم**، الإسكندريّة: دار البصيرة.

٢٠- المتنبّي، أبو الطّيّب أحمد بن الحسين(١٩٧٨). **ديوان إبي الطّيّب المتنبّي**، تقديم عبدالوهّاب عزّام، بيروت: دار الزّهراء.

٢١- المرزبانيّ، أبو عبدالله محمّد بن عمران(١٩٩٥). **الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء**، تحقيق محمّد حسين شمس الدّين، بيروت: دار الكتب العلميّة.

٢٢- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج(١٩٨٧). **مختصر صحيح مسلم**، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

٢٣- النّوويّ، أبو زكريّا يحيى بن شرف(١٩٩١). **رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين**، تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمد الدّقّاق، الرّياض: مكتبة دار السّلام.